



أشهر المفتين من أهل الشام



obeikandi.com

• ومن أهل الشام:

رجاء بن حيوة الكندي - رضى الله عنه -

ولد رجاء بن حيوة في "بيسان" من أرض "فلسطين" .. وكانت ولادته في أواخر خلافة عثمان بن عفان أو نحو من ذلك .. وكان ينتمى إلى قبيلة "كندة" العربية.

وعلى هذا فرجاء "فلسطيني" الوطن .. عربي الأصل .. "كندي" العشيرة.

وقد نشأ الفتى الكندي في طاعة الله منذ حداثة سنه، فأحبه الله وحببه إلى خلقه .. وأقبل على طلب العلم منذ نعومة أظفاره فوجد العلم فؤاده غضاً طرياً خالياً، فتمكن منه، واستقر فيه.

وجعل همه الأكبر النهم من كتاب الله، والتزود من حديث رسول الله ﷺ .

فاستضاء فكره بنور القرآن .. واستتارت بصيرته بهدى النبوة .. وامتلاً صدره بالموعظة والحكمة .. ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً.

وقد أتيج له أن يأخذ عن طائفة كبيرة من جلة الصحابة من أمثال: أبي سعيد الخدري، وأبي الدرداء، وأبي أمامة، وعبادة بن الصامت .. ومعاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن عمرو بن العاص، والنواس بن سمعان، وغيرهم.

وقد وزر^(١) رجاء بن حيوة لطائفة من خلفاء بني "أمية" ابتداء من عبد الملك ابن مروان، وانتهاء بعمر بن عبد العزيز.

لكن صلته بسليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز فاقت صلاته بمن سبقهما من الخلفاء.

وقد أدناه من قلوب خلفاء بني "أمية" رجاحة في رأيه .. وصدق في لهجته .. وإخلاص في نيته .. وحكمة في معالجه الأمور .. ثم توج ذلك كله بزهده بما في أيديهم من عرض الدنيا مما كان يتراحم عليه المتراحمون.

وقد كان اتصاله بخلفاء بني "أمية" من عظيم رحمة الله بهم، وجزيل إكرامه لهم.

(١) وزر: صار وزيراً.

فلقد دعاهم إلى الخير، ودلهم على طريقه.. وثناهم^(١) عن الشر، وأوصد دونهم أبوابه.. وأراهم الحق وزين لهم اتباعه.. ويصرهم بالباطل وكره إليهم إتيانه.. فنصح الله ورسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم.

ولما أفضت الخلافة إلى سليمان بن عبد الملك كان لرجاء بن حيوة عنده شأن يفوق شأنه عند سابقيه.

فقد كان سليمان عظيم الثقة به، شديد الاعتماد عليه، حريصاً على أن يأخذ برأيه في صغير الأمور وكبيرها... ومواقف رجاء بن حيوة مع سليمان بن عبد الملك كثيرة مثيرة.

بيد أن أكبرها شأنًا وأعظمها على الإسلام والمسلمين خطراً، موقفه من أمر ولاية العهد، وأثره في البيعة لعمر بن عبد العزيز.. ونصحه للخليفة سليمان بذلك واستجابة الخليفة له وكان عمر بن عبد العزيز نعم الاختيار.

فظوبى للخليفة سليمان بن عبد الملك، فقد أبرأ ذمته أمام الله بتوليته الرجل الصالح، وهنيئاً لوزير الصدق رجاء بن حيوة الذي كان نصحه لوجه الله تعالى ولصالح المسلمين.

وقد قال عنه مطر الوراق: ما رأيت شامياً أفقه منه، وقال مكحول بن أبي مسلم: رجاء سيد أهل الشام في أنفسهم.. رحم الله عالماً الكبير الذي استضاء فكره وبصيرته بنور القرآن وهدى السنة والذي واتته المنية سنة ١١٢هـ.

* * *

(١) ثناهم عن الشر: صرفهم عن الشر.

عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه -

في مصر، وفي حلوان، ولد عمر بن عبد العزيز بن مروان بن أبي العاص ابن أمية القرشي الأموي التابعي العظيم وذلك سنة إحدى وستين هجرية.

حفظ القرآن الكريم وهو صغير، وأرسله والده إلى المدينة ليحفظ السنن، فكان يختلف إلى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة .. وقد ولى إدارة المدينة زمنًا في خلافة الوليد، ثم قدم الشام سنة ٩٣ وبويع بالخلافة سنة ٩٩ ۞ .

سمع الحديث النبوي: من أنس بن مالك والسائب بن يزيد ويوسف بن عبد الله بن سلام، وخولة بنت حكيم وغيرهم.

وروى عنه كثير من التابعين منهم: أبو سلمة بن عبد الرحمن، وأبو بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم، والزهرى، ويحيى الأنصاري، وكان رضى الله عنه محبا للحديث شغوقا به، كبير العناية بالسنة حفظا وتدوينًا.

وكان ثقة، حجة، حافظًا، شهد له العلماء بالحفظ والأمانة، حتى لقد كان يقرن بالزهرى في علمه.

وقد حدث عنه علي بن الحسين قال: " أخبرني خارجة بن مصعب عن ابن عون عن مجاهد قال: المهادي سبعة، مضى خمسة، وبقي اثنان. قال خارجة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز - رضى الله عنهم - .. أى هؤلاء هم الخمسة الذين مضوا".

وحدث أبو عبيدة السري بن يحيى بن أبي هنادين قال: سمعت قبيصة بن عقبة يقول: سمعت سفيان الثوري يقول: الخلفاء خمسة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز - رضى الله عنهم -".

ويعتبر كثير من العلماء والكتاب عمر بن عبد العزيز المجدد الأول للإسلام على رأس المائة الأولى من الهجرة .. ويالها من منزلة سامية.

فالأوقاع^(١) أن الفترة القصيرة التي قضاها الإمام العادل عمر بن عبد العزيز في خلافته، كانت عودة مباركة إلى هذا العهد النبوي المشرق الذي استضاءت أنواره على عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وعلى عهد الخلفاء الراشدين الأربعة - رضوان الله عليهم أجمعين -.

(١) من كتاب (عمر بن عبد العزيز) دكتور أحمد الشرباصي.

وإذا كنا نرى الخيرات والبركات تفيض على أيدي هؤلاء الأربعة الراشدين، فيجب أن نتذكر ذلك التمهيد الطويل الذي قام به الرسول صلوات الله عليه، ليجعل الطريق لمن بعده معتدلاً مستقيماً، ومن هنا أقبل كل خليفة من هؤلاء الأربعة، فاستقام وتابع، وزاد في الخير.

ولكن عمر بن عبد العزيز جاء في فترة عصيبة: ظهرت فيها طوائف وأحزاب، ونبتت خلالها فتن ومحن، واتسعت الفجوة بين الحاكمين والمحكومين، وتحدث الناس عن المظالم والمآثم.. فإذا بعمر يقبل إقبال الفجر الصادق: فيرد المظالم، وينصف المظلومين، ويؤدب الخارجين، وينشر السلام والأمان والإحسان بين جميع الناس.. فلا عجب أن يجعله المؤرخون خامس الخلفاء -عليه رضوان الله-.

أما عن مواقفه الرائعة فحدث ولا حرج.. فقد كانت للخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، مواقفه الحاسمة في إقرار الأمن والعدالة واتخاذ أدق الأساليب وأحكمها في إدارة شؤون الدولة.

ولقد كان الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز يحرص أشد الحرص على نشر السنة وتبليغها، وتعليمها للناس، وكان يكتب إلى عماله أن يجروا على طلابها والمشتغلين بالعلم الرزق وأن يفرغوهم لطلب العلم.

وكان يريد ذلك حتى لا يشغلهم طلب الرزق والسعي على المعاش عن طلب العلم، حتى يعنوا بالعلم عناية فائقة، وحتى يتمخض طلبهم له، وحفظهم وحرصهم واستيعابهم للعلوم والأحكام والسنن، وحتى لا تضطرهم مطالب المعاش إلى الخروج والسعي، والبحث والتعب فيأخذ كل هذا من أوقاتهم الكثيرة، فهو يرى أن توفير معاشهم وفرغهم لطلب العلم سوف يجعلهم يتقنون العلم أشد الإتقان.

ولعله بهذا يكون أول من أجرى راتباً وشجع طلاب العلم، ولهذا المسلك الكريم مثيله في الأزهر الشريف الذي أجرى لطلاب العلم راتباً يشجعهم على الطلب وهو ما كان يسمى قديماً بـ " الجراية".

عن يحيى بن أبي كثير، قال: "كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله أن أجروا على طلبة العلم الرزق، وفرغوهم للطلب".

وكتب إلى والي حمص يقول له: "انظر إلى القوم الذين نصبوا أنفسهم للفقاه، وحبسوها في المسجد عن طلب الدنيا، فأعط كل رجل منهم مائة دينار يستعينون بها على ما هم عليه من بيت مال المسلمين، حين يأتيك كتابي هذا. وإن خير الخير أَعْجله والسلام عليك".

وكتب إلى واليه في رسالة أخرى: "مر لأهل الصلاح من بيت المال بما يغنيهم، لئلا يشغلهم شيء عن تلاوة القرآن وما حملوا من الأحاديث..".

وكان لعمر بن عبد العزيز الفضل في تدوين الحديث النبوي تدوينا رسميا عندما أصدر أمره إلى علماء الآفاق ليجمعوا الحديث ويدونوه.

روى البخاري- في باب : "كيف يقبض العلم":

"وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم:

انظر ماكان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبي ﷺ ولتفشوا العلم ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرا".

وكان أول من لبي أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز بتدوين السنة هو الإمام ابن شهاب الزهري، ثم كثرت التدوين بعد ذلك.

وهكذا تتضح لنا همة الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز وعنايته بالسنة النبوية وتدوينها، وعنايته بطلاب العلم والحديث.. وهي عناية فجرت النهضة الحديثية في مصر وفي سائر الأقطار الإسلامية.

رحم الله عمر بن عبد العزيز فقد كان نعم العالم والخليفة العادل حتى اعتبره الكثيرون خامس الخلفاء الراشدين وجزاه الله خير الثواب على دوره في الحفاظ على سنة نبيه ﷺ .